أسماء الأعلام: التأثيل والدلالة والمعنى

بقلم: جان لوي فاكسلير[1]

ترجمة: خالد اليعبودي

ملخص: تعتبر مسألة تحديد معاني أسماء الأعلام إشكالية شائكة، والدليل على ذلك أن العدد الكبير من التصانيف والمقالات التي خُصِّصتْ لهذا الموضوع في اللسانيات وفي حقول علمية أخرى كالمنطق وعلم النفس وعلم الجِناسة (Ethnologie). والواقع أن دراسة أسماء الأعلام – خلافا لبعض الموضوعات الخاصة في اللسانيات من قبيل: التعدية والصرفة- تتصل عمليا بكل العلوم الإنسانية، ما يفرز مزيجا من التسميات تقترن باستعمال مصطلحات بمعاني مختلفة، بل متباينة.

يتوضّح عبر بسط نظريات معاني أسماء الأعلام بأنّ الكثير من هذه النظريات لا تمتّ بصلة للسانيات، وبأنّ الاشتراك الحاصل بينها مثار سوء تفاهم بين الباحثين: ذلك أن الكثير من الجدالات التي قامت في موضوع معاني أسماء الأعلام ودلالاتها الإيحائية ليست في نهاية المطاف سوى إشكالات مصطلحية.

يبدو من الضروري بغاية بلورة دراسة لسانية هادفة تبنّي مقاربة مستقلة عن التأثيرات المهيمنة لتخصصات أخرى، بذلك نؤكّد أن التمييز بين أبعاد ثلاثة (التأثيل والدلالة والمعنى) أساسيٌّ في دراسة أسماء الأعلام، كما أنه أساسيٌّ كذلك في أجناس خطابية أخرى.

حفّزني الاهتمام بأسماء الأعلام على قراءة أبحاث في الفلسفة التحليلية وفي علم الإناسة وفي علم النفس، بل وحتى أبحاث النقد الأدبي، فهي تخصُّصات تتطرق لاسم العلم بدرجات متفاوتة، ومن الواضح أنها لا تنظر إلى الموضوع من زاوية واحدة. تظلّ الإشكالية الأساسية على الرغم من اختلاف الرؤى كامنة في: مسألة معنى اسم العلم. فإذا كان المناطقة يجزمون بعدم اشتماله على معنى؛ فإن الباحثين في علم الجناسة يؤكّدون على ثرائه الدلالي. بإمكاننا أن نعتبر أنهما موقفان يترجمان اختلاف زاوية النظر في كلا التخصّصين، غير أنّ الواقع يؤكّد وجود هذا الاختلاف بين أهل الاختصاص داخل ذات العلم. نقدّم الدليل على ذلك من اللسانيات، لأنه بين موقف اللساني "بروندال" (Brondal) –الذي يتبنّى وجهة نظر "استيوارت ميل" (Stewart Mill)- القائل بعدم توفّر اسم العلم على معنى وموقف اللساني "بريال" (Bréal) الذي يؤكّد على أنّ اسم العلم أكثر ثراءً من معنى الاسم العام توجد فجوةٌ عميقةٌ، مع أنّ الأدلة التي يقدّم كل منهما مقبولة. فمن الواضح أن الشخص المُسمّى "كريم" ليس بالضرورة كريما، كما أنه في المقابل كل شخص يُسمّى "ناصر" لا صلة له ب"الناصرية".2

---

[1] - Jean-Louis Vaxelaire (2010), Etymologie Signification et sens des noms propres, in revue : TEXTO, Juillet, Vol XV , , N° 3, publié dans les actes du CMLF (2008).

[2]- اتجاه الزعيم المصري "جمال عبد الناصر".

وقد عمدنا إلى تغيير الأمثلة بهدف التوضيح، أما الأمثلة التي قدّمها الكاتب، فهي:

Paul Petit n'est pas….. petit.

Berlusconi ≠ Berlusconien

تخفي هذه الجدالات المتكرّرة نمطين من الإشكالات المصطلحية: إذ يُدرِج الدارسون تحت اسم "المعنى" ثلاثة عناصر متباينة: "التأثيل" (Etymologie) (أو التعليل (Motivation) ضمن المنظور التزامني)، و"الدلالة" (Signification)، و"المعنى" (Sens).

نُسجّل أيضا توالُد مصطلحات متعدّدة ضمن هذا الجدل: "المعنى" (Sens)، "الدلالة" (Signification)، "الإحالة" (Référence)، "التعيين" (Désignation)، "المحتوى" (Contenu)، "المحتوى الإخباري" (Contenu informatif)، "الدلالة الماصدقية" (Dénotation)، "المعاني الإيحائية" (Connotations)، "المعنى المفهومي" (Intension)، "المعنى الامتدادي" (Extension)، الخ. تتعدّد هذه المصطلحات إلى درجة التداخل أحيانا والتقابُل أحيانا أخرى، ويصعُب عندئذ إيجاد أرضية للتوافق بشأنها.

لا مجال هنا للتأكيد – وفق رؤية المدرسة النمساوية في المصطلحية- على أهمية تقييس الكتابة العلمية. نشير فقط إلى أنّ الكثير من مشاكل الفهم تنتُجُ عن هذا اللبس: هناك اشتراكٌ بين مصطلحيْ "معنى" و"دلالة"، وإذا تعذّرَ حذف المصطلحين؛ يلزمُ على الأقلّ الوعْيُ بوجود هذا الاشتراك. وسنرى فيما يأتي ما المقصودُ بمصطلح "معنى" في مختلف التخصصات، وسنكتفي بتوضيح أنّ التمييز بين "التأثيل" و"الدلالة" و"المعنى" يسمح برفع اللبس عن هذا الموضوع.

- <u>إشكالات مصطلحية</u>:

أحصى كلٌّ من "أوجدن" و"ريتشاردز" (Ogden & Richards) في كتابهما "معنى المعنى" (The Meaning of Meaning) ثلاث وعشرين [23] دلالة لمصطلح "دلالة" (Signification) Touratier (2000), 10)، غير أنّ القائمة ليست شاملة، نجد ضمن التعريفات المعروضة عناصر تتعارض فيما بينها، مما يجعلها مستبعدة عن انشغالات اللسانيين:

فإذا كان "فتجنشتاين" (Wittgenstein) يعتبر أنّ دلالة الكلمة هي استعمالها داخل اللغة (Langage)، فإنّ دلالة العلامة عند "شليك" (Schlick) تكافئ منهج الاستقراء والفحص، وهي ترتبط بصيغة التلفظ بالموضوع.

كما تتعدّد التعريفات في اللسانيات وتتنوّع:

إذ نجد داخل نفس التيار الفكري أنّ "بالدينغر" (1984:72) (Baldinger) يعتبر أن تصوّره للدلالة (اقتران "سيميم" (موضوع ذهني) بدالٍّ) مغايرٌ لتصوُّر "أولمان" (Ulman) (إذ هي عند الأخير: علاقة بين المفهوم والبنية).

حاصلُ القول: من الصعب إيجاد أرضية للتوافق في موضوع تحديد الدلالة، ولا شك أن البحث في تعريفات "المعنى" سيُفضي إلى نتائج مماثلة.

كما أنّ العلاقة بين هذين المصطلحين لا تخلو من لَبْسٍ أيضا، إذ يُعتبر "ليرا" (1983:5) (Lerat) أنَّ مُصطلحَيْ "معنى" و"دلالة" مترادفان، بينما هما متمايزان عند "هاجيج" (293: 1985) (Hagège)، وحينما يتمايزان فهُما يُطابِقان مفاهيم أخرى مُغايِرة. إذ يطابق "المعنى" عند "روبير مارتن" (Robert Martin) "الدلالة" بمنظور "هاجيج"، كما

تُطابِق "الدلالة" في منظور "روبير مارتن" المعنى عند صاحب كتاب "إنسان الأقوال" (L'Homme des paroles) [: الكتاب ل"هاجيج" (Hagège)][1].

نتبنّى تعريف هذا الأخير، لأنه الأكثر تداوُلا بين الأوساط الثقافية الفرنسية، إذ يتمّ تحديد "المعنى" بوصفه "دلالة الخطاب" في معجم "فوروتيير" (Feuretière) و "تريفو" (Trèvoux) وفي موسوعة "ديدرو" (Diderot) وفي الموسوعة المنهجية ل"مارسي" و"بوزي" (L'Encyclopédie méthodique, Marçais & Beauzée)[2].

يكاد يشابه التمييز بين "الدلالة" و"المعنى" تمييزا أجراه كلٌّ من "أرنولد" (Arnold) و"نيكول" (Nicole) بين "الدلالة الخاصة" (Signification propre) و"الأفكار الملحقة" (: التابعة) (Idées accessoires)، لأنّ الدلالة تتحدّد كشكلٍ ثابتٍ منعزلٍ عن السياقات، في حين أن المعنى يتنوّع تبعًا لتنوّع السياقات.

نشير في سياق توضيح هذا الخلط المصطلحي بأنّ ما سمّاه نحاة "بور رويال" (Port-Royal) الأفكار الملحقة (: التابعة) يُطلق عليها في العصر الراهن: "المعاني الإيحائية" (Connotations)، وبأنّ الاشتراكَ بارزٌ في هذا الاصطلاح الأخير بين الفيلسوف 'ميل' (Mill) – الذي يؤكد أنّ أسماء الأعلام لا تتوفّر على معاني إيحائية- واللساني 'جسبرسن' (Jespersen) - الذي يؤمن بتوفر أسماء الأعلام على وفرة كبيرة من المعاني الإيحائية-.

لسنا هنا إزاء فجوة فقط؛ إنما نواجه أيضا إشكالا مصطلحيا: ذلك أنّ 'ميل' و'جسبرسن' لا يتحدثان نفس اللغة. إنّ التقابلَ القائم في تصور 'ميل' بين "الدلالة الماصدقية" (Dénotation) و"المعنى الإيحائي" (Connotation) يُطابق التقابل الموروث بين "المعنى الامتدادي" (Extension) و"المعنى المفهومي" (Intension).

إنّ "المعنى الإيحائي" هو مجموع السمات الأساسية الضرورية في تعريف المصطلح، بينما "المعاني الإيحائية" من منظور 'جسبرسن' عبارة عن سماتٍ عرضيةٍ وقيمةٍ مضافةٍ. إضافةً إلى هذا الاختلاف، نجد تعريفاتٍ أخرى مغايرةً لدى كل من 'هلمسليف' (Hjelmslev) و'مارتيني' (Martinet)، غير أنّ المقامُ لا يسمحُ بعرضها.

هُناكَ عاملٌ آخر يلزمُ أخذه بعين الاعتبار: يخصّ ترجمة أبحاث من لدن المترجمين: إذ يُترجم أحيانا نفس المصطلح الإنجليزي أو الألماني ب "معنى" من طرف مترجم، ويُترجم ب"دلالة" عند مترجم آخر[3].

---

[1]- غالبية اللسانيين لا يميزون بين المصطلحين، ويستبدلون أحدهما بالآخر، من هؤلاء "محموديان" (Mahmoudian) (1997:74)، فهو حين يتساءل: "هل للكلمة معنى؟" ، فهو يقصد "دلالة" بالمعنى الذي أكسبه "هاجيج" لهذا الاصطلاح.

[2]- نطالع تمييزا مماثلا بذات العصر في "تأويلية" عصر الأنوار بألمانيا من 'إرنستي' (Ernesti) إلى 'شلايرماخر' (Schleirmacher) بين "الدلالة" (Sinn) و"المعنى" (Bedeutung) (انظر 'راستيي' (Rastier) (1999)).

[3]- بذلك يُترجَم في هذا السياق مصطلح 'فريج' (Frege): ' ' في عدة تصانيف أحيانا ب"مرجعية" (Référence) و"دلالة ما صدقية" (Dénotation) و"دلالة" (Signification)، كما يُترجَم ' Bedentung ' أحيانا أخرى في سياقات مغايرة ب"معنى" (Sens) أو "مدلول" (Signifié) كما هو الحال عند ' كاتنبوش' (Kattenbusch) (1995:401).

يُشير 'شاف' (Schaff) (1960:278) إلى أنّ ترجمة مصطلح 'راسل' (Russell) "Bedentung" إلى الانجليزية تتمّ باقتراح مقابل لها هو "دلالة ما صدقية" (Denotation)، أما ترجمة 'بلاك' (Black)، فتقترح "إحالة" (Reference).

إنّ الإشكال لا يقتصرُ على الانتقال من لغة إلى أخرى كما رأينا في اصطلاحات "معنى"، "دلالة"، "معاني إيحائية". إن الاشتراك وحُضور المقاصد الفردية (المرتبطة أحيانا بالطبيعة الخاصة للعمل الجامعي (الأكاديمي)) عبارة عن إشكالات حادّة تستلزم إيجاد حلول لتخطّي بُعدها الترجمي.

- **معاني "المعنى":**

إنّ عرضَ إشكالات التسميات لا يحلّ بالتأكيد معضلة المعنى (والدلالة)، يُستعمل مصطلح "معنى" في كلّ التخصصات المعرفية، لكن لا دليل على كونه مفهوما مشتركا [بنفس المغزى] بين جميع هذه التخصصات، وحينما نحاول حصر معنى وحدة معجمية في اللسانيات، فإننا نتبنّى نفس وجهة النظر المعروفة في علم المنطق أو علم النفس، بينما يثبت عكس ذلك عند رصد مختلف معاني مصطلح "دلالة". سنقدّم فيما يلي بعض تعريفات معاني أسماء الأعلام في تخصصات معرفية متعدّدة بغرض استخلاص خصائصها ومميزاتها.

2-1- المعنى السحري في "علم الأجناس"

يؤكّد غالبية علماء الأجناس أن الأسماء حاملة للمعاني، فاسم العلم في الكثير من المجتمعات جزءٌ لا يتجزّأ من الشخصية شأنه في ذلك شأن الجسد، لذلك جرتْ العادةُ بتغيير الاسم في مختلف مراحل الحياة (مرحلة المراهقة، مرحلة الزواج، عند ولادة طفل، بعد وفاة قريب) لكي يتلاءم الاسم مع الشخصية الحاملة له. إن تغيير الاسم على أثر حفلة المسارّة (**cérémonie d'initiation**) عادةٌ موروثةٌ منذ القديم ومنتشرة (لا سيما بأرض النار (وهي جزيرة بالأرجنتين) وأستراليا، إلخ). كما أن تأثيل الاسم لا يخلو من أهمية، فالشخص الحامل لاسم "الدب" يتمتع بقوّة هذا الحيوان، أو يدخل في علاقة خاصة معه.

يندرجُ المعنى الذي يتحدث عنه علماء الأجناس ضمن ما يُطلق عليه "المعنى السحري"، وهو غير قابل للإدراك من الناحية العلمية. إنه معنى موصوف في تخصصات علمية أخرى كالتاريخ[1] وعلم النفس[2]، ويبدو طبيعيا إلى حدّ كبير في عوالم الشعوذة والتعاويذ السحرية. يكفي أن نقصد متاجر التحف القديمة لنجد صُحونا أو حامل مفاتيح تُسَلِّمُ بأنّ كل من يحمل اسم "جنيفر" له صفة مميزة.

2-2- المعنى النفسي:

ذكَرَ "ليفي شتراوس" (Lévi- Strauss) (246-245/1962) – علاوة على نظريته الخاصة باسم العلم المصنِّف – أنّ تأثيل الاسم الشخصي بإمكانه أنْ يُفرِز تأثيرًا نفسيا: فكلّ اسم شخصي يتضمّن – عنْ وعيٍ أو عنْ لا وعْيٍ- معنى إيحائيا ثقافيا يُمثل الصورة التي ينظر بها الناسُ إلى حامله، ما يُسهم في نمذجة شخصيته بطريقة سلبية أو إيجابية.

1- يُعتبر العالَم كُلاًّ منغلقًا ومتّسقًا في العصور الوسطى، ذكرَ الباحث 'جيلسون' (Gilson) في هذا الإطار أن فلاسفة القرنين الثاني عشر والثالث عشر " لم يجدوا أيّ عبثية في ربط الكلمة بالشيء الذي تعيّنه كلمة مماثلة حينما نُسلِّم بأنّ طبيعة الأشياء أسهمت في الأصل في وضع الكلمات. فإذا كنّا لا نعتقد بصحة ما ورد في "الكراتيل"، فإنهم خلافا لذلك كانوا يستلهمون الأفكار التي وردت به" (1932:166.167).

2- يرى 'فرويد' (Freud) أن الأطفال يعتقدون بوجود هذا المعنى السحري، "فهم لا يكتفون أبدًا بتصوّر أن تشابُه كلمتين يمكن أن يكون مجرّدا من أيّ بعد دلالي؛ بل يستخلصون بشكل مطرد بأنّ الشيئين المنعوتين باسمين متجانسين دليلٌ على وجود تطابُق بين هذين الشيئين" (1993:158).

وقد أثبتتْ دراسات أخرى أن هذا الأثر لا يقتصر على الشخصية؛ إنما يتعدّاه إلى محيطه. فقد أبرز الباحث "جاروود" (1976:484) (Garwood) أنّ المُدرّسين لهم أحكامٌ مُسبقة في التمييز بين المتمدرسين تبعا لأسمائهم الشخصية: إذ يحصُل من يتوفّر منهم على أسماء ذات إيحاءات مقبولة على نقاط جيّدة.

وسواءٌ صحَّ هذا الأمكرُ أم لمْ يصحّ، فإنه يصعُبُ على اللساني ضبط هذا "المعنى النفسي"، بالنظر إلى الأدوات والمناهج التي يتوفّر عليها.

2-3- المعنى الاجتماعي:

إن وجهة نظر "بورديو" ليست نفسية، غيرَ أنّ استنتاجه يَقْرُبُ من استنتاج "ليفي-شتراوس"، باكتساب المرء لاسم ما، فهو يرثُ برنامجا مفروضا من لدن الجماعة (المجتمع).

" إنّ إنشاء هوية، التي يمكن أن تكون عنوان نبالة أو وصمةً معيبةً ("أنتَ لستَ سوى..") هي فرضُ اسم، أي هوية اجتماعية.

يعني إنشاء هوية أو ملكة أو تعيينهما فرضَ حقٍّ في الوجود الذي هو حقٌّ لكل شخص، إن ذلك يعبر لذات الشخص عن ماهيته والتعبير له عمّا يلزمه التقيُّد به نتيجة ذلك". (1982، 125-126).

يتجلى هذا الدورُ الاجتماعي لاسم الشخص وهويته (anthroponyme) عند تغيير اسم الأب أو اسم الأسرة (patronyme)، فالغاية من إضافة صفة النُّبْل، أو إضافة خاصية إلى الاسم واضحة. يذكر في هذا الإطار الباحث "بوتي" (1994:104) (Petit) حالة الشخصيات الشهيرة التي غادرت هذا العالم دون خَلَفٍ ذَكَر، فأضيفت أسماؤها العائلية بسبب إشعاعها الحضاري، من ذلك: "Raiga-Clemenceau" / "Salles-Eiffel" / "Nussy-Saint-Saëns"، إلخ.

يُثير "المعنى الاجتماعي" الذي يعرضه الباحث "بورديو" (Bourdieu) نفس إشكال "المعنى النفسي": فهو بشكلٍ من الأشكال معنى استشرافي (Sens prospectif).

أما النقطة الثانية التي يثيرها علماء الاجتماع، فهي مُثارةٌ أيضا لدى اللسانيين لأنها تتصل ببِنًى لغوية: يتعلق الأمر بمورفيم "De" "دي" الذي يحيل إلى اسم أسرة ذات أصلٍ نبيلٍ، ما يَدفع إلى جعل من يحمل اسمه هذا المورفيم ضمن زمرة طبقة خاصة من طبقات المجتمع.

2-4- المعنى في المنطق:

يبرزُ مشكلٌ مصطلحيٌّ جديدٌ بالرسوّ على ضفاف المنطق: فإذا كان 'ميل' (Mill) يستعمل أسماء أعلام نحوية في أمثلته، فإن أسماء أعلام 'فريج' (Frege) و 'راسل' (Russell) تختلف كثيرا عن التعريف التقليدي لاسم العلم، إذ يعتبر 'فريج' أنّ: "عاصمة الامبراطورية الألمانية" و"ما يفوقُ 2 هو 4" عبارة عن اسمين من أسماء الأعلام لأنهما يعيّنان موضوعًا متفرّدا. يندرج تعريف 'راسل' ضمن نظام آخر، إذ تنحصر أسماء الأعلام المنطقية في "Ceci" (هذا) و"Cela" (هذه)، فهما اللفظان الوحيدان الواردان في هيئة رمزين بسيطين وغير قابلين للتحليل، وأنا مضطرٌّ بالاقتصار على دراسة أسماء أعلام تكتسب هذه الصفة في اللسانيات.

2-4-1- فراغُ المعنى

على الرغم من أنَّ 'ستيوارت ميل' ليس أول من عالج مسألة طبيعة المعنى في أسماء الأعلام[1]؛ فإنّ الكثير يجزمون بأنّ الجدال المنطقي لهذا الباحث في أطروحته الشهيرة: "لا دلالة

1- يُمكن ردّ أصل هذه الأطروحة إلى 'ريد' (Reid)، لا إلى 'أرسطو' (Aristote) كما يفعل آخرون منهم 'ريان' (Ryan) و'بروندال' (Brondal)؛ فإشارة 'أرسطو' (1977:16a) إلى أنّ العناصر المكوّنة للاسم

بأسماء الأعلام" [1] لأنها لا تتضمّن معاني إيحائية، فهي شبيهة بآثار طبشورة على الحائط، حتى لو كان التأثيلُ جليا، فهو لا يُؤخذ بعين الاعتبار، فليس من الضروري أن تقع مدينة "دارطموث" (Dartmouth) بمنحدر نهر "دارثْ"، فقد تمّ بتْر الروابط السحرية القائمة بين الاسم وحامله، غير أن رفض كلّ أثر معنوي باللجوء إلى تشبيه أثر الطبشورة، وحرمان الاسم من وضعه اللساني موقف لا يخلو من جُرأة: فقد رَمَى 'ميل' الرضيع بماء الحمام (عبارة تفيد: رَمَى الكُلَّ دون التمييز بين ما يفيد وما لا يُفيد). كما يُصرّح في موضعٍ آخر[2] بأنّ أسماء الأعلام تضطلع مع ذلك بوظيفة "المُلصق" (Etiquette) مع الاستمرار في المُناداة جهارًا بخلوّها من المعنى. بذلك، يكتفي بتقديم تصوّر منطقي للدلالة، وهو تصورٌ سيجد مرتعًا له بالفلسفة التحليلية وفي اللسانيات أيضا.

كما وَصَفَ اللساني 'جيوم' (G, Guillaume) اسم العلم بأنه "لا دلالي" (asémantique)، وردّد الكثير من اللسانيين مقولته على الرغم من عدم التأثر بتصوّراته الأخرى.

يقول 'جريفيس' (Grevisse) صاحب كتاب "Le bon Usage" في هذا الإطار: "لا تغدو الكلمات الحاملة للدلالة أسماء أعلام سوى باستعمالها للتعيين بتجريد دلالاتها".[3] ما يجعل البعض يظنّ بأنّ التمييز بين اسم العلم وبقية المقولات يقوم على معيارٍ دلاليّ، وبأنّ كلمة لا تشتمل على دلالة تصبح بموجب ذلك اسم علم[4]. بل ذهب الباحث 'نوايلي' (N, Noailly) إلى أكثر من ذلك فقال بأنّ اسم العلم يتكوّن من دالّ فقط دون مدلول، وهو تصور مرفوض من وجهة نظر سوسورية[5]، لأنه لا وجود لعلامة دون وجهين، وبالتالي لا وجود لدالّ غير مقترنٍ بمدلول. [خالد: وما وضع المهمل؟]

إن أهمّ ما يترتّب عن هذا الغياب المفترض للدلالة هو استبعاد نسق اللغة. برزت هذه الفكرة في القرن الثامن عشر مع 'هاريس' (Harris) واستمرّت في العصر الراهن مع 'مكاولي'

العائلي (Anthroponyme) تفقد معناها الأصلي لا تفيد القول بأنّ هذه الأسماء خاليةٌ من المعنى؛ بل إنّ 'أرسطو' يصرّح بأنّها تشتمل على "دلالة اتفاقية" (Signification conventionnelle) مما ينفي عنها التأليفية.

1- خالية من الدلالة أو من المعنى، بما أنّ المناطقة لا يميزون بين المصطلحين.

2- "حينما نقول عن رجُل بأنه 'براون' أو 'سميث'، وعن مدينة بأنها 'يورك'؛ فإننا لا نقول شيئا عن الرجل والمدينة؛ إنما كلّ ما هنالك أنهما اسمان لهما" (Mill :1988 :36).

3- من بين الأسماء الدالة التي فقدت دلالتها، نجد "القانون المدني" (Le code civil) و"الجنوب" (Le sud)، مع أن "القانون المدني" قانون، و"الجنوب" لا يتحدد سوى باستحضار مرجع [: حيّز مكاني] يتموقع جنوب نقطة أخرى.

4- يرى 'كلارنفال' (Clarinval): "حينما يرد اسم العلم دون دلالة، فهذا يدلّ على وجود حظوظ ليعتبر القارئ كلّ ما لا يحمل دلالة عبارة عن اسم علم" (36: 1967)، وإذا تركنا التصنيف القبلي غير المرغوب فيه جانبا؛ فإن وجهة النظر هذه لا تجدي في تحليل النصوص: ذلك لوجود عدة مصطلحات مجهولة الدلالة عند القارئ في الكتب العلمية، بينما تحمل أسماء الأعلام دلالات في الدليل السياحي انطلاقا من تأثيلها مثلما هو الحال في ' mont blanc' و 'côte d'azur'.

5- يثبت 'جورج كليبر' (Kleiber) (1995:15) من زاوية مغايرة أن العلامة ذات الوجه الواحد –تبعا لموقف 'نوايلي' (Noailly)- لا يمكن التسليم بوجودها في اسم العلم 'بول' بعبارة: "شرب 'بول' خمرة الريسلينغ"، فهو غير خال من المعنى، ذلك أنْ ليست كل المراجع قابلة لأن تُسنَد إلى المركب الاسمي 'بول'.

(1968) (McCawly) و'موشلر' و'ريبول' (Moeshler & Reboul) اللذان أكّدا على أنّ أسماء الأعلام لا تمتّ بصلة للسانيات (167-166 : 1994)، لكن أيّ علمٍ ترتبط به إذن؟[1]

يبدو من الأفيد –بعد نقد هذه الفرضية وإثبات بطلانها- دراسة المثل « c'est Byzance ! » الدالّ على فرط البذخ دراسةً لسانيةً، وهو المثل الذي يحمل فيه اسم العلم حمولة دلالية.

إنّ أكبر مأخذ يُوَجَّه لغالبية الباحثين الذين يجزمون بخُلُوّ اسم العلم من المعنى هو غياب أمثلة واقعية وهو ذات النقد المُوَجَّه إلى المناطقة الذين لا يفقهون بدقّة حقيقية المفاهيم اللسانية.

إذْ يُؤكّد 'كاتز' (1972:12) (Katz) على حصول ترادف بين 'بوني' و'رابيت' (Bunny & Rabbit)[2] ودلالتهما على ذات واحدة خلافا ل'مارك توين' (Mark Twain) و'صمويل كليمنتس' (Samuel Clemens)، ذلك أنّ الاسم الأول مُستعارٌ فقط للكاتب. فالترادف بين الكلمتين 'بوني' و'رابيت' نسبيٌّ للغاية في الأنجليزية، بل يستحيل الجزمُ بأنّ لهما نفس الدلالة في المعجم الثنائي 'كولينز/روبير' (Collins / Robins)، نتيجة ترجمتهما على التوالي ب"الأرنب جانوت" (Jeannot lapin) و"أرنب" (Lapin).

نشير أخيرا إلى طرافة الأمثلة التي قدّمها أنصارُ القائلين بالفراغ الدلالي لأسماء الأعلام، فقد اختلق الكاتب 'كريبكين باجيسَوا' (1984:202) (Le kripkéen Yagisawa) اسم جاسوسة في أجواء الحرب الباردة التي كانت مشتعلة حينذاك، فلم يخترْ اسما أمريكيا ولا نرويجيا ولا ماليا، وإنما اسما روسيا هو: "نطاشا- أوراطوف" (Natacha Uratov)، فكيف نُفسِّر هذا الاختيار إذا كان اسم المعنى خاليا كليا من المعنى؟

2-4-2- الحد الأدنى من المعنى:

أدّت أطروحة 'جون ستيوارت ميل' (J, S, Mill) نتيجة حتميتها إلى ردود أفعال تمثلت في ظهور تصوّرات فلسفية أخرى عن اسم العلم، إذ رأى الباحث 'بوسنكيت' (1999:47) (B, Bosanquet) استحالة وجود كلمة مجردة من المعنى الإيحائي أو مجردة من المعنى المفهومي (Intension) بتوظيف الاصطلاح الأكثر تداوُلا بالنظر إلى عدم إمكانية الفصل بين ثنائية المعنى المفهومي (Intension) والمعنى الامتدادي (Extension). ولا يتضمّن اسم العلم سوى حدّا أدنى من الدلالة في غياب توظيف الإجراء التأثيلي. (ف 'جون' (John) اسم رجُل لا اسم جبل ولا اسم آلة بخارية (نفس المرجع:49))، لكنه حدٌّ أدنى كافٍ للجزم بعدم فراغ أحد جزءيْ الثنائية: المعنى المفهومي/ المعنى الامتدادي.

يشتمِلُ اسم 'نطاشا إيراتوف' (Natacha Uratov) تِبَعا لهذا التصور بعض السمات الدلالية التي تفيد دلالته على اسم أنثى، من المرجّح أنها من أصل روسي.

---

[1]- أشارت الباحثة 'مارسيلا شويتكوسكا' (Marcela Światkowska) (2006:49) إلى تأكيد بعض الدارسين على أنّ صيغ التعجّب (interjections) ليست سوى تعبيرا عن مشاعر المتكلم، ما دفعهم إلى استبعادها عن موضوعات اللسانيات، فبإقصاء أسماء الأعلام وصيغ التعجب- ومن المحتمل أقساما أخرى من أقسام الكلم- فإننا نُقيّد بشكل كبير حقل الدراسة اللسانية.

2- (وهما شخصيتان رئيسيتان في أفلام الرسوم المتحرّكة- المترجم)

نجد هذا التصور –دون أن يأخذ شكل نظرية محضة- لدى بعض اللسانيين من مذاهب مُتباينة، مثل 'فرايْ'[1] (Frei) أو 'تشومسكي' (Chomsky) اللسانية الصورية. والواقع أنّ العادة جرتْ في الاتجاهات اللسانية الصورية – مثل الاتجاه التوليدي- بتصنيف 'نيكسون' (Nixon) ضمن أسماء الأشخاص، وإدراج "أمستردام" (Amesterdam) ضمن أسماء المُدن. بل يُمكن الذهاب أبعد من ذلك بالقول بأن هذه النظرية مُتضمّنة ضمن نظريات أخرى: فحينما يكتُبُ 'جاكبسون' (Jakobson) بأن 'جيروم' يدلّ على شخص يُسمّى 'جيروم' (1990:6)، فهذا يستلزم أن 'جيروم' (Jerôme) اسم شخص (ما).

2-4-3- <u>معنى غير مُحدّد:</u>

ظهَرَ تصوُّرٌ آخر معارض لأطروحة 'ميل' يُؤكِّد على أنّ دلالة اسم العلم تتولّد عن التجربة. يرى في هذا الإطار الباحث 'جيفونز' (Jevons)(1920:43) أنّ اسم 'جون سميث' لا دلالة له ما دمنا لا نعرف 'جون سميث' المقصود. وقدْ غدتْ دلالة اسم العلم أكثر ثراء بمرور السنين إلى أنْ أصبح مع الباحث 'جوزيف' (1931:11) (Joseph) أشدّ غِنًى من الاسم العام (nom commun). وقد اختارَ لسانيُّو ما قبل عهد 'دي سوسير' هذا التوجُّه، من هؤلاء الباحث 'سويت' (1877:470) (Sweet) الذي يرى أن 'جون' يتضمّن خاصيتين أساسيتين: "إنسان" و" ذكر"، غير أنه في الواقع يدلّ على أكثر من ذلك لدى كلّ مَنْ يعرفه. أمّا خلاصة هذه النظرية فقد قدّمها 'بريال' (1924:182) (Bréal) حينما أكّد على أنّ أسماء الأعلام الأكثر دلالة مقارنة بباقي الكلمات، لأنها الأكثر فردية.

تلاشتْ هذه الفكرة جُزئيا بظهور البنيوية، فاكتفى بترددها بعض الباحثين، من أمثال 'بارت' (Barthes) وحديثا لدى أنصار التطبيق العملي (Les praxématiciens) الذين يجزمون بدورهم أن أسماء الأعلام تحمل معانيَ مكثّفةً أكثر مما تحمل الأسماء العامة. (فابر: 1987:15) (Fabre). مع ذلك ثمّة صعوبة في تفسير هذا الثراء الدلالي. إنّ المأخذ الوحيد على هذه النظرية من زاوية لسانية هو الربطُ الكليّ للمعنى بمعرفة المرجع.

2-4-4- <u>المعنى في النظرية الوصفية:</u>

أكّد المنطقيُّ الألماني 'فريج' (Frege) في سياق نقد أطروحة 'ميل' (Mill) على "لزوم اشتمال اسم العلم على معنى (في إطار الاستعمال) وإلا سيكونُ مجرّد متوالية من الأصوات فارغة تُدعى خطأ اسما" (1994:147).

فقد أشارَ في هامش الصفحة من مقاله "المعنى والدلالة" (Sign & Bedentung) إلى أن اسم 'أرسطو' يدلّ على "تلميذ أفلاطون" وعلى "أستاذ الإسكندر المقدوني"، وتشير هذه النظرية في شكلها المبسّط إلى أنّ كل اسم عَلَم يُطابق وصفًا محدّدا (أو أوصافًا محددة).

لمْ يَلقَ هذا التصوُّرُ -الذي تبنّته الفلسفة التحليلية- استجابة كُبرى من لدُن اللسانيين، وهو الأمرُ الذي يُمكن قبوله، لأن أبرز سلبيات هذا التصوّر أنه لا يتوافق مع الاستعمالات الندائية والاصطلاحية لاسم العَلَم. (Jonasson 1994 :116)

1- بالنظر إلى عدم وجود دالّ دون مدلول "يلزم أن يشتمل مدلول اسم العلم في أدنى الحالات الصنف الذي ينتمي إليه (الاسم الشخصي، الاسم العائلي، الجنس: ذكر أم أنثى، الخ)، فاسم العلم لا يحدّد مكوّناته بمجرّد الدال" (Frei 1961 : 50).

2-4-5- المعنى المرجعي:

إذا اعتبرنا اسم العلم غير مرتبط بأيّ معنى دلالي إيحائي، يظل الحلّ في العناية بالرابط المباشر القائم بين الاسم والشخص الحامل له.[1] إنّ أسماء الأعلام في التصوّر الذرّي لا تشتمل على أي معنى إيحائي، لذلك يرفض 'راسل' (Russell) تقديم الموضوع كما يتصوّره 'فريج' (Frege)، ليحتفظ بمرجعية مباشرة: إن دلالة 'ساركوزي' تخصّ شخصًا بعينه.

يُعرِّف 'فتجنشتاين' (Wittgenstein) بدوره في الرسالة المنطقية الفلسفية (Tractatus logico-philosophique) دلالة اسم العلم في صلتاه بمرجعه، حين يقول: "يدلّ الاسم على الموضوع، ويُمثل الموضوع دلالة الاسم" (3:1961-203).

انتقد أصحاب الفلسفة التحليلية هذا التصور كما يتضح من أنموذج 'ستراوسون' (Strawson) (1971:9) الذي انتقد 'راسل' نتيجة خلطه بين الدلالة والمرجع، كما انتقد اللساني 'كليبر' (Kleiber) (1981:356) ذاتَ التصوّر حينما اعتبر عبارة: "الإفريست هو نمولوغما" (L'Everest est le chomolungma) ليست تحصيل حاصل، على الرغم من إحالة اسمَي العلم على ذات المرجع.

يفضي هذا المعنى المرجعي إلى ما نعته 'شاف' (Schaff) (1960:337) الأقنوم اللساني المتمثل في: استلزام وجود اسم وجود كائن واقعي يُعيِّنه. وقد أكّد الباحثون بدْءا ب 'رايشنباخ' (Reichenbach) إلى 'كريبك' (Kripke) مرورا ب 'ليجيوسكي' (Lijewski) أنّ 'بيغاس' (Pégase) أو 'شرلوك هولمز' (Sherlok Holmes) ليسا اسمي علم لأنهما لا يحيلان إلى مرجع واقعي، وهي نتيجة غير مقبولة من لدن اللسانيين.

تظلّ نظرية الإحالة المباشرة حاضرة في المنطق على أثر النجاح الذي لقيته نظرية 'كريبك' (Kripke)، وهي من زاوية لسانية فارغة من المعنى باطلة: إذ يُمكن قبول مفهوم المرجع المصوغ صياغة جديدة (Référent reconstruit) بفهم الباحث 'حاجيج' (Hagège) (1985:216)، غير أن العلامة قبل أيّ شيء هي علاقة بين الدال والمدلول.

2-4-6- الأعلومة (الملصق)

يبدو من الأسلم من زاوية لسانية الاعتماد على مقاربة مرجعية مع التمييز بين "اففرست" و"شيمولونغما": يكفي لتحقيق ذلك المقارنة بين دالّين مختلفين، وبما أنّ أسماء الأعلام لا ترد سوى في أشكال خطية؛ فإنه بالإمكان تبيّن فكرة اشتمالها على معنى مرجعي مع التمييز بين مختلف تسميات المرجع الواحد. إنها وجهة نظر الباحث 'فانك' (Funke) (1925:77) الذي يَعتبر اسم العلم مجرد أعلومة (Etiquette) كما هو حال أرقام الكُتب في المكتبة. إن خيرَ أُعلومة للفرنسي هي رقم بطاقته للضمان الاجتماعي، مع أنّ له عناصر دالة أخرى من قبيل الجِنس والعُمر.

2-4-7- المعنى التداوُلي:

يتمثل آخر الحلول الممكنة للتسليم بوجود فراغ دلالي بأسماء الأعلام في نفي كلّ ما يرتبط بالدلالة إلى التداوُلية: نُتابِع هذه الفكرة لدى الكثير من المناطقة، من أمثال 'بيرس'

[1]- إنها مجازفة 'مارك ويلمت' (Marc Wilmet) (1988:838) تتجلى في تقديره أنّ الاسم العام يربط بين الدال والمدلول بينما اسم العلم يربط بين الدال والمرجع، مما يجعلنا من دون مدلول إزاء إحالة مباشرة، ويبدو أن 'ماجليوريني' (Magliorini) (1968:5) أكثر حذرًا حينما يشير إلى أن دلالة اسم العلم تكافِئ مفهوم الشخص الذي تحيل عليه.

(Pierce) في كتاباته الأخيرة.[1] وبرزت بالأساس مع اللسانيين إلى أن أصبحت النظرية السائدة في عصرنا الحالي، إذ قرّرَ الباحث 'كيربات أوريشيوني' (C. Kerbrat-Orecchioni (1977:178-179) أنّ أسماء الأعلام ثرية إخباريا ليس بسبب معانيها كما يُفهم من معنى مصطلح "المعنى"، وإنما بفضل معانيها الإيحائية.[2]

يمكننا تبعا لذلك تفسير بعض الظواهر الخطابية، لكن على حساب التناقُض المُلاحظ في وُجود اسمٍ مجرّد من المعنى، ويحمل في ذات الآن معنى، وعبْر الفصل التامّ بين ما هو دلالي وما هو تداوُلي.

2-4-8- معنى أقلّ اعتباطية:

لم يَلْقَ مصطلحُ "اعتباطية" العناية اللازمة من لدُن الدارسين لأسماء الأعلام، وقد سبَقَ للباحث 'بندلبوري' (Pendlbury (1990:519) أنْ أكّد أنّ أسماء الأعلام جامدةٌ نظرًا لكونها اعتباطية.

ترتبط الاعتباطية في التعريفات اللسانية المعهودة بكل المقولات النحوية غير الجامدة تبعا للتوضيح الذي قدمه الباحث 'كريبكين' (Kripkeen).

يواجه اللساني 'كورنيليي' (Cornulier) تحديا: فهو يرفض اعتبار اسم 'جان' (Jean) دالاً على /انسان ذكر/ واسم 'ميدور' (Médor) دالا على / كلب ذكر/، غير أن سُلوك الاسمين داخل الخطاب يشهد بخلاف ذلك، لذلك يؤكد بأنّ "أسماء الأعلام ليست اعتباطية بشكل كلّي، فهي مُصنفة نسبيا أو مُقيّدة" [..] (2004:32)[3].

من المؤكّد أن مصطلح "اعتباطي" يندرج ضمن المشترك (المصطلحي)[4]، غير أنه من الصعب الجزم بأنّ اسم "الجبل الأبيض" (mont Blanc) أقلّ اعتباطية (أو أكثر اعتباطية) من اسم "البلعوم الأحمر" (rouge-gorge) [وهو اسم شركة فرنسية متخصصة في صنع الملابس الداخلية للنساء].

2-4-9- المحتوى:

تمّ اقتراحُ حلّ آخر لحلّ مسألة المعنى باقتراح مصطلح جديد، وهو مصطلحٌ يعود بأوجهٍ متعددةٍ، إنه مصطلح "محتوَى" (contenu). يرى الباحث 'زيف' (Ziff (1960:94) أنّ عدم توفّر اسم العلم على معنى لا يستلزم بالضرورة تبنّي نظرية 'ميل' (Mill)، فعدم توفّره على معنى لا يستلزم أنه فارغ كلية، لأنه يحتوي على معاني إيحائية، وبما أنّ المعاني الإيحائية تتغيّر تبعا للأشخاص يقترح 'زيف' (Ziff) تعويض هذا المصطلح بمفهوم يرى أنه أكثر دقّة، هو: "المحتوى الإخباري" (contenu informatif) (Information- Content) (ن م، ص:97). إنه محتوى لا يتقيّد بمعتقدات الأشخاص، ومواقفهم، كما هو حال المعاني الإيحائية؛ وإنما يتقيّد

1- كتب 'بيرس' (Pierce) في الفقرة 318 (Ms 318) من كتابه "التداولية" (Pragmatisme) أنّ اسم العلم لا يشتمل على دلالة رئيسية، وإنما بإمكانه أن يحمل دلالة عرضية داخل الخطاب.

2- تُضاف إلى ذلك فرضيةٌ –لمْ يُستدَلّ على صحتها على الرغم من انتشارها- "أنّ أسماء الأعلام تتميّز بحمل هذا المعنى الثانوي المتمثّل في المعاني الإيحائية أكثر مما هو عليه الحال في الأسماء العامّة" 'جوناسون' (Jonasson) (123: 1994).

4- يدلّ المصطلح على "غير مُعلّل" (Immotivé) وعلى "حادث" (أو "طارئ") (Contingent)، فإذا كانت كلّ الكلمات غير معللة (ما دعاه 'دي سوسير' "التعليل النسبي" (La motivation relative)؛ فهي حتما طارئة لعدم وجود رابط أساسيّ بالمعنى الفلسفي أو رابط سحري بين الكلمات وما تحيل عليه.

بمقامات التلفّظ.[1] فإذا ورد اسم القطّ "وتشجرن" (Witchgren) في مدوّنة بسياقات من قبيل: "يريد الأكل"، ".. يبحث عن الطعام"، أو "جائع"، فإن المحتوى الإخباري ل "وتشجرن" يفيد أن الأمر يتعلّق بقطّ جائع (ن م، ص:100).

إنّ ما يدفع إلى اختيار مصطلح "محتوى" هو توضيح الانشقاق الحاصل بين "اسم العلم" و"الاسم العام". في هذا الإطار يرى الباحث 'نيكولايسن' (1995:387) (Nicolaisen) المُدافع عن أطروحة بناء قوائم لأسماء الأعلام والأسماء العامة (La thèse de L'onomatisation) أنّ أسماء الأعلام لا دلالة [2] لها ((meaning) كما هو حال بقية أقسام الكلم؛ وإنما تتوفّر على محتوى (content). بينما يستعمل الباحث 'كاري – بريور' (M.-N. Gary-Prieur) هذا الاصطلاح الأخير بشكل مغاير بالنظر إلى البُعد الوجودي الخاص لهذه الأسماء، إذ يشمل المحتوى في نظره مجموع الخصائص المرتبطة بمرجع اسم العلم، وتبعا لهذا التعريف فالظرف وحرف الجرّ لا يشتملان على محتوى.

- <u>ضرورة التفريق بين كلّ من التأثيل والدلالة والمعنى:</u>

تُبرز الأمثلة السابقة أنّ مسألة معنى أسماء الأعلام تشكّل معضلة رئيسية. ومن المرجّح إمكانية جرد أنماط أخرى من المعنى إذا تعلق الأمر بأقسام أخرى من أقسام الكلم من قبيل الأفعال وأدوات النداء والتعجّب (les interjections)، فكما يرى الباحث 'آلان راي' (1967:27) (Rey) غالبا ما يُقابَل المعنى (أو الدلالة) ب"التعيين" (désignation) (أو الماصدق (dénotation)) بدلَ مُقابلة المعنى بالدلالة. ويبدو لنا أنّ هذا التقابُل أكثرُ إجرائية وبنائية إذا ارتبط بمفهوم السياق. يُعتبر الباحث 'جسبرسن' (1971:77) (Jespersen) أولَ من أشار إلى أن أتباع 'ستيوارت ميل' يركّزون على البُعد المعجمي لأسماء الأعلام خارج السياق مع وُجود اسمين عامّين يُعتبران من المُتجانِس ((homonymes (jar et jar) لا يقبلان التحديد.

ترتبط الدلالة – بالنظر إلى التمييز التقليدي بين الدلالة/المعنى- بالعلامة خارج السياق، بينما يرتبط المعنى بالعلامة بوصفها عنصرا من عناصر الخطاب: وبالتالي فالأولوية لدى المناطقة تُعطى لدلالة اسم العلم[3]، بينما سيعنى اللسانيون بمعناه[4]، وستعنى دراسة أسماء الأعلام (L'onomastique) بالتأثيل بالنظر إلى اهتمامها بالبُعد التعاقبي.

ثمة أخطاء كثيرة ناتجة عن الخلط بين هاته المفاهيم، بين الدلالة والمعنى، وأيضا بين التأثيل والدلالة، ذلك أننا نجد مناطقة من أمثال 'سترول' (1998:528) (Stroll)، و'لوونر' (1995:114) (Lauener) لا يميزون بين المفهومين الأخيرين، ما دفع هذا الأخير إلى القول: بما أنّنا نُعاين خبّازين (boulangers) يُسمَّوْن(Boucher) "جزّار" ، وجزّارين (bouchers) يُدْعَوْن (Boulanger,) "خَبَّاز"؛ فإننا نتردّد في الجزم بوُجود معنى لاسم العلم غير معناه المرجعي. يُوَضّح هذا الاستنتاج الساذج ضرورةَ التمييز بين هذه المفاهيم الثلاثة.

---

[1]- مع ذلك من المثير حقا أنْ يرتبط المحتوى بمقام التلفظ، فسنرى لاحقا أن اسم شخصية شهيرة يكتسب بالضرورة محتوى إخباريا في غالب الأحوال.

[2]- استخدم الباحث مصطلح "signification"،ووضع المقابل الانجليزي "(*meaning*"، لذلك التزمنا بذلك في الترجمة.

3- يرى الكثير من المناطقة من أصحاب اتجاه الوضعية الجديدة (L'optique Néo-positiviste) أنّ العناية يلزم أن تولّى للدلالة فقط بالنظر إلى كونيتها المزعومة، واستقلاليتها عن السياقات واللغات، بينما لا يعتبرون المعنى معطًى موثوقًا منه.

4- على الأقل فيما يتصل بعلم الدلالة التأويلي (La sémantique intérprétative).

3-1- التأثيل:

يرتبط مفهوم "التأثيل" أساسًا بالمقاربة التعاقبية، كما هو حال علم دراسة أسماء الأعلام (l'onomastique.). سبَقَ لنا (في 'فاكسلير' (2005) (Vaxelaire) أنْ فصَّلنا (من الناحية التوثيقية) بين أطروحات دارسي أسماء الأعلام (onomasticiens) عن أطروحات اللسانيين على الرغم من أنّ الأوائل يُدرجون أنفسهم ضمن زمرة اللسانيين، وقد استندنا في إجراء هذا الفصل على الفرق في طبيعة أعمال كل فريق، ذلك أن التأثيل معطى غالبا ما يُهمله اللساني. وسنرى في الفقرة 3-3- أنّ التعليل (motivation,) في اللسانيات التزامُنية الذي يُشكّل المنحى التزامني للتأثيل يُؤخَذ بعين الاعتبار في معظم الأحوال.

يقترن التمييز بين التأثيل العلمي والتأثيل الشعبي بثنائية التأثيل/ التعليل لأن التأثيل الشعبي يتوخّى الكشفَ عن تعليل التسمية أو اختلاقه، فحينما يُقرّر البعض بأن تعليل تسمية " la Gaule" يكمُن في ذهاب سُكّان هذه المنطقة للصيد بغرض إيجاد طعام لهم، فإنهم يستندون إلى تجانُس وقعَ في مرحلة من مراحل اللغة يُزكّي هذا التعليل على المستوى التعاقبي. هناك حالات كثيرة من التأثيل الشعبي مستمدّة من الإنجيل، وتُعايَن كذلك في أعمال 'بريسيت' (Brisset) و"كراتيل" 'أفلاطون' و'إيزيدور دي سيفيليّ' (Isidore de Seville) غالبا ما تستند إلى بحث باطني عن الدلالة الأصلية أو الأولية.

يُمكن أن نشبّه غموض بعض الأسماء بقناع نروم نزعه لاستكشاف الوجه الحقيقي.

إذا أمكن التمييزُ بيُسرٍ بين نمطي التأثيل (ينحاز أحدُهما للعلم ويرتبط الثاني بالأسطورة والخرافة)، فلا ننسَى مع ذلك أن تعميم المفاهيم العلمية يُفضي إلى فقدانها الدقة. وقد تضاعَف الاهتمامُ بالبحث التأثيلي لأسماء الأعلام نتيجة تزايُد العناية بعلم الوراثة (: علم الأنساب) (généalogie)، غير أن مجرد إطلالة على مواقع الشابكة تثبت لنا وجود خلط بين التأثيل والدلالة (إذ غالبا ما نقرأ أنّ اسم ".Vincent" يدلّ على من يَنتصر= المنتصر (le vainqueur)).

لقد شاعَ نبذُ مثل هاته التفسيرات، ممّا يُبرّر جزئيا حرمان أسماء الأعلام من الدلالة في الخطابات الفلسفية واللسانية.

3-2- الدلالة:

إنّ دلالة أسماء أعلام من قبيل "Boucher" أو "Paris"[1] محدودة للغاية لأنها لا تشكّل جزءا من عناصر التأثيل (فليس من الضروري أن يحيل اسم "Boucher " على المهنة)، كما لا ترتبط بالمعلومات الموسوعية (فسَكَنُ شخص ما بباريس أو عدم سُكناه بها لا يُغير شيئا من دلالة هذا الاسم). ويبدو أن موقف 'فرايْ' (Frei) (انظر هامش 13) الأكثر معقولية لأنه يسمح بالحفاظ على المدلول مع التأكيد على توفّره على سمات دلالية محدودة.

وقد سبق لبعض الباحثين أن انتقدوا فكرة تضمّن اسم العلم لسمات دلالية، إذ يرى الباحث 'ليرا' (1983:72) (Lerat) أنْ لا دليل على وُجود السمة الدلالية "جنوبية" (meridionalité/) في "Savignac " مقارنة ب ".Savigny "، بينما حينما نطلب من بعض الفرنسيين تحديد موقع "Savignac " في الخريطة يختارون الجنوب الغربي، بل غالبا ما يعمد الفرنسيون إلى ربط أسماء المواقع المنتهية باللاحقة "ae" بهذه المنطقة.

---

[1]- إذا جاز لنا تقديم أمثلة عربية، يمكن اقتراح أسماء "السقاط" أو "الرايس" أو "فاس"، فلا علاقة لمن يجمل اسم "السقاط" في وقتنا الراهن بمن يسقط الصوف، ولا علاقة لمن يسمى "الرايس" في زمننا الحالي بقبطان السفينة، كما أن دلالة تسمية مدينة "فاس" بوجود فأس ذهبية أوان تشييد المدينة تأثيلٌ يندرج ضمن التأثيل الشعبي المتوهّم القريب من الأسطورة والخرافة، ولا يستند على حقائق تاريخية موثوقة وموثّقة.

يصف كاتبٌ سارقتيْن في جريدة 'ليبيراسيون' (Libération) بالعدد الصادر بتاريخ: 2000/01/13، قائلا: "بوني وبوني تخبطان خبط عشواء"
(Bonnie et Bonnie à la petite semaine)
يتضمّن اسم "بوني" بالضرورة سمة "مؤنث" في قول الصحفي. والراجح أن عدد السمات الدلالية اللازمة في الأسماء العائلية (anthroponyme) محدودة: /حيّ/، /إنسان/، إضافة إلى "الجنس" كما في حالة "بوني".
كما يُمكن أن نضيف باللغة الأصلية[1] إلى هذه السمات سمة /مقدّس/ في اسم " Saint Thomas " (القدّيس طوماس)، لكن لا مجال لإضافة سمات أخرى.

3-3- المعنى:

يتقيّد معنى الوحدات المعجمية (lexies) بالسياق، ما يفسّر احتمال اشتمال اسم العلم على معنى ثري أو ضعيف بحسب استعمالاته، تُضاف سمات أخرى – يمكن نعتُها ب"المعاني الإيحائية" أو "السمات العَرضية" (afférents) بحسب المدارس- إلى السمات اللازمة المشار إليها سلفًا.
ركّزت معظمُ الانتقادات على الطابع اللالساني لهذه السمات، إذ تمّ التأكيد على ارتباطها بما هو موسوعي لا بما هو لساني، أو بتعبير اللساني 'بروندال' (Brondal,): ترتبط بما هو نفسي.[2]
يتضح إذن جليا أنّ هذه السمات لا تمتّ بصلة للشان، غير أنه يُلجَأ إليها بغاية تأويل النصوص.
تسمحُ المعلومات الموسوعية بفهم الملفوظ في حالة وُرود اسم العلم ضمن شتائم في سياق أدنى، من مثل: "هتلر الوسخ" (sale Hitler)، إن السياق هو الذي يُوجّه القارئ في غالبية الأحوال، كما يتبيّن في النص التالي: "أنا الذي أنسِبُ الأعمالَ التاريخية لأفضل الأمريكيين، بدْءًا ب'إدغار آلان بو' (Edgar Poe) إلى 'روبير جرومب' (Robert Crumb) (أعفيكم هذه المرة من كلّ فناني الجاز المحتملين)، يلزمُني أن أتذكّر دومًا أنّ هذه الولايات التي اتحدتْ تحسُّبا لما هو أسوأ أخرجتْ من أحضانها قادة 'شيريدان' (Sheridan) و'شوارزكوبف'(Schwarzkopf,) و'والت ديزني'(Walt Disney) و'الفيس بريسلي' (Elvis Presley)....(Nabe, Non, [3])

---

[1]- يُمكن بيُسر شديد ربط أسماء الأعلام بمواطنها الإصلية، إذا أخذنا مثال أسماء عناصر فرق كرة اليد بآخر بطولة نسوية (مثال ذلك: الأسماء الروسية ' Postnova'، ' Andrysbina'، ' Souslina'، 'Romenskaia ' ، 'Uskeova' ، 'Sbipilova' ، والأسماء الكورية: ' Lee ' ، ' Woo'، ' Oh' ، ' Choi' ، ' Kim' ، ' Monn'، 'Myoung ' ، الخ.).
والحال أشدّ صعوبة في البلدان التي شهدت هجرة مكثفة، كما في الولايات المتحدة الأمريكية، غير أنه بالإمكان حدس موطن كل اسم كما يتضح من أسماء عناصر فرقة الأرجنتين التي تضم أسماء إيطالية وإسبانية وألمانية ('Decilio ' ، 'Ferrea ' ، 'Fernandez' ، 'Schlesinger' ، 'Costantino' ، ' Bastile' ، ' Sanguinetti'، 'Acosta ' ، الخ).
[2]- " يمكن لكلمة أن تكون على المستوى النفسي شديدة الثراء، مع كونها فقيرة للغاية في اللسان ذاته، أي داخل المعيار". (بروندال Brôndal (1948 :62).

[3] - Monaco, éditions du Rocher, 1998, p. 231 .

إذا كانت المعاني الإيحائية المألوفة ل'والت ديزني' و'إلفيس بريسلي' إيجابية، فقد صُنِّفا في هذا المقطع النصي في خانة تتعارض مع عبارة "أفضل الأمريكيين"، مما يُفيد وُجود سمة سلبية بهما، وبالتالي فليس ضروريا معرفة مرجعية أسماء الأعلام لكي نفهم مقصد الكاتب.

من ذلك أيضا: أنّ المذيع 'فال' (Ph. Val) قام بجرد قائمة من المعجبين ب'أفلاطون' (Platon) في حلقة من حلقات 'فرانس أنتير' (France Inter) بتاريخ:2004/01/26، من ضمنها: 'ستالين' (,Staline)، 'هتلر' (,Hitler)، 'بول بوت' (Pol Pot)، 'آية الله الخميني'، 'فرانكو' (Franco)، 'ماوتستنغ' (Mao Tsé Toung)، 'كاسترو' (Fidel Castro)، 'مركز وسائل الإعلام الفرنسي' (l'Observatoire des médias français).

نُدرك بحضور سبعة أسماء دكتاتوريين بأنّ مركز وسائل الإعلام الفرنسي يتضمن بدوره سمة دلالية عامة سلبية إضافة إلى بقية الشخصيات المذكورة. سيتفق على هذا التأويل كلّ الناطقين بالفرنسية بمن فيهم أولئك الذين لا يعلمون شيئا عن هذا المركز، لأن الأمر يتعلق بظاهرة نصية، لا نفسية، كما ذهبَ إلى ذلك الباحث 'بروندال' (.BrØndal).

تُفنِّد المقاربة النصية نظريات المناطقة، على غرار نظرية 'كريبك' المرتبطة بفراغ المعنى: ليس من الضروري اللجوء إلى أعلومة (ملصق) فارغة حينما يكون لشخصين رؤى مختلفة عن نفس الشخص. وقد آخذ الفلاسفةُ باحثين آخرين نتيجة وضعهم ل'والت ديزني' و'الفيس بريسلي' في نفس الخانة المشار إليها أعلاه لأنه معنى متفرّد (idiosyncrasique)، ذلك أنّ 'ناب' (Nabe) لا يتحدث عن ذات الشخص مع مُعجبٍ ب'بريسلي' (,Presley)، هنا بالضبط يلزم التمييز بين الدلالة – المتداولى بشكل عام بين متكلمي لسان ما- والمعنى –المعبّر عنه من لدن شخص أو جماعة معينة-.

غدا من نافل القول التأكيد على أن اسم العلم لا معنى له، أو على العكس من ذلك: التأكيد على أنه يشتمل على معنى أكثر مما يشتمل عليه الاسم العامّ من معنى. من اللافت للنظر أنّ اسم ' Batofar ' لا معنى له في المثال:

" Keiji Haino, Batofar, 25/05/99, 60 francs".

يُبرز السياق أن الأمر يتعلق بقاعة عرض، غير أنه يصعُبُ الذهاب إلى أبعد من ذلك (غير أن الإحالة إلى باخرة تدعو إلى التفكير في شيء آخر غير قاعة العرض). حتما 'Batofar ' في هذا الاستعمال عبارة عن أعلومة (:ملصق) (etiquette)، وهو ما يتأكد على المستوى التركيبي لأن الاسم يُستعمل مجردا من التعريف، على خلاف استعماله المألوف (ليس هناك أفضل من أمسية في 'باتوفار') (Rien de tel qu'une soirée au Batofar).

هناك ميزة أخرى للمقاربة النصية، وتتمثل في إمكانية إبطال مسارات التأثيل بالتفكير الأسطوري، فحينما تكتبُ أسبوعية "Canard Enchaîné " بتاريخ: 2005/10/05 بأن مصرف ليون: "عِلقتْ رجلاه بالبساط" (Le Crédit Lyonnais s'est pris les pieds dans le Tapie)، فلا مجال للربط بين الشخص والموضوع، وإنما هو أسلوبٌ بياني. (خ: والغايةُ من العبارة: فشلُ المصرف في تحقيق مشاريعه). وقد عرفت هذه الأسبوعية بإعادة تعليل الأسماء (remotivation) فيما تصدره.

كتبَ صحفيٌّ آخر في عدد 25 أبريل 2007 بذات المنبر بعنوان بارز في موضوع المصاعب المالية لحزب الجبهة الوطنية (Front National): "تمَّ إغراق الباخرة من طرف البحرية !" (Le "Paquebot" a été coulé... par la Marine !).

تكمُنُ الحيلة اللغوية (Le jeu du mot) في حضور السمة الدلالية "البحري" التي لا علاقة لها في الأصل بمبنى الحزب ولا باسمه، غير أنها سمة ضروريةٌ عبر بِنْيِها بين الاسمين والفعل.

إنّ عدم استحضار التأثيل في تحديد دلالة الاسم العائلي (anthroponyme) لا يعني غيابه كليةً؛ إنما يمكن اللجوء إليه في حالة إعادة تعليل الاسم. يبرز مثالٌ قدّمه 'راستيي' (Rastier) (1997:319) كيف يُؤثر نزع المسكوكية (défigement) في رسم المسار الدلالي للاسم: فعلى أثر نقل مقرّ الاستخبارات الفرنسية (DGSE) أصدرت جريدة 'البارزيان' (Le Parisien) في عدد خاص بتاريخ 1993/09/15 عنوانا: "ينتقل المسبحُ إلى 'نوازي-لوسيك' (La Piscine déménage a Noisy-le-Sec) بتوظيف اسم ثان للمصالح الاستخباراتية (نتيجة تجاورها مع مسبح 'توريل' (Tourelles) وباستحضار اسم ذي صلة بتسمية المدينة القائمة بالضواحي.

يتمثّل هدفُ غالبية الحالات الرسمية لتغيير الأسماء بفرنسا في حجْب أسماء عائلية ذات معان إيحائية قدحية. نستحضر هنا حالات التحويل الجناسي لأسماء عامة (مثال الممثل 'جان بول كومار' (Jean-Paul Comart) الذي كان اسمه الأصلي 'كونار' (Connart) الذي يتجانس مع الصفة "Conard " الدالة على "الأحمق"). كما نستحضر التحويل الذي جرى لأسماء أعلام.[1] فالكثير ممن كانوا يُدْعون 'هتلر' اضطروا لتغيير اسمهم. فعلى الرغم من أنّ الأسماء العائلية لا تحمل سوى دلالةً دنيا؛ فقد لجأ أصحابها إلى تغييرها لتفادي تحريفات غير مرغوب فيها، وبالتالي فهي تحمل أثرًا معنويا.

في سبيل الختم:

ينتجُ الإحباطُ المتولّد عن معاينة غالبية النظريات التي عالجت موضوع معنى اسم العلم بالأساس عن عدم مراعاة السياق (مع أن الأمثلة المعروضة سلفا تتيح سُبُلا جديدة لا مجالَ للتشكيك في نجاعتها). إضافة إلى ذلك لاحظنا أن بعض النظريات تركز فقط على دلالة أسماء الأعلام، مع أنها دلالة محدودة للغاية، بينما لا تميّز نظرياتٌ أخرى بشكلٍ جليّ بين "المعنى" و"الدلالة"، وتنتهي إلى الجزم بأن أسماء الأعلام تتوفر على معان متعددة بشكل يفوق الأسماء العامة.

إنّ معنى اسم العلم ليس هو مرجعه (على الرغم من أنّ معرفة المرجع يُمكن أن تُشكِّل جزءا من المعنى)، كما أنّ اسم العلم ليس هو تأثيله (مع أنّ التأثيل قد يُسهم في تحديد معاني بعض الملفوظات عبر سبيل التعليل)؛ إنما اسم العلم بنيةٌ ترتبط بعناصر عدّة، وبالتالي يلزمُ دراسة أسماء الأعلام مييز بين كلّ حالة على حدة، ويظلّ من الناحية الابستمولوجية الوعيُ بهذا التقسيم الثلاثي الفاصل بين "التأثيل" و"الدلالة" و"المعنى" صالحا لكلّ أصناف الخطاب.

---

[1]- يُمكن للحيل اللغوية (Les Jeux de mots) المتمثلة في الجناسات اللفظية أنْ تُسهم في إعادة تعليل اسم العلم عبر اسم علم آخر، كما هو الحال في "McCain à la frite "، وهو اسم موقع في "ياهو" (Yahoo Actualités) تم تصفّحه بتاريخ : 08/01/08، إذ يتم توظيف الجناس القائم بين اسم سيناتور (عضو مجلس الشيوخ الأمريكي) واسم مُحضِّر البطاطس المقلية.

[في هذا السياق نُسجّل جناسا قائما في اسم مطعم بسلا: "Douze Koul" بمعناه الجامع بين لفظين من أصل فرنسي وأنجليزي (والأخير محرّف في طريقة كتابته)، واللفظان متجانسان مع تعبير دارجي منقول نقلا صوتيا بالحروف اللاتينية، وأصله: "دوز كول" بمعنى: احضُرْ لتأكُل].

- **قائمة المصادر والمراجع:**

° Aristote (1977). Organon I & II, Paris : Librairie Philosophique J. Vrin.

° Arnauld A. & Nicole P. (1992). La logique ou l'art de penser, Paris : Gallimard, Coll. Tel [1662].

° Baldinger K. (1984). Vers une sémantique moderne, Paris : Klincksieck.

° Bosanquet B. (1999). Logic — Or the Morphology of Knowledge, Vol. I, Bristol : Thoemmes Press [1888].

° Bourdieu P. (1982). Ce que parler veut dire — L'économie des échanges linguistiques, Paris : Fayard.

° Bréal M. (1924). Essai de sémantique — science des significations, Paris : Hachette [1897].

° Brøndal V. (1948). Les parties du discours — Partes orationis, Copenhague, Ejnar Munksgaard [1928].

° Clarinval B. (1967). « Essai sur le statut linguistique du nom propre», Cahiers de Lexicologie, n° 11, p. 29-44.

° Cornulier (de) B. (2004). « Bibi, maman et moi... et quelques autres », in A. Supiot (éd.) : Tisser le Lien social, Paris : M.S.H., p. 25-45.

° Eliade M. (1959). Initiation, rites, sociétés secrètes, Paris : Gallimard.

° Fabre P. (1987). « Théorie du nom propre et recherche onomastique», Cahiers de Praxématique, n° 8, p. 9-25.

° Frege G. (1971). Écrits logiques et philosophiques, Paris : Le Seuil. ° — (1994). Écrits posthumes, Nîmes : Jacqueline Chambon.

° Frei H. (1961). « Désaccords », Cahiers Ferdinand de Saussure, n° 18, p. 35-51.

° Freud S. (1993). Totem et tabou — Quelques concordances entre la vie psychique des sauvages et celle des névrosés, Paris : Gallimard [1912- 1913].

° Funke O. (1925). « Zur Definition des Begriffes "Eigennamen" », in W. Keller (éd.) : Probleme der englischen Sprache und Kultur — Festschrift Johannes Hoops zum 60. Geburtstag überreicht von Freunden und Kollegen, Heidelberg : Carl Winter's Universitätsbuchhandlung, p. 72-79.

° Garwood S.G. (1976). « First-Name Stereotypes as a Factor in Self-Concept and School Achievement », Journal of Educational Psychology, Vol. 68, n° 4, p. 482-487.

° Gary-Prieur M.-N. (1994). Grammaire du nom propre, Paris : PUF. Gilson É. (1932). L'esprit de la philosophie médiévale, Paris : J. Vrin. ° Grévisse M. & Goosse A. (1993). Le bon usage, 13ème édition, Paris-Louvain-la-Neuve : Duculot.

° Hagège Cl. (1985). L'homme de paroles — Contribution linguistique aux sciences humaines, Paris : Fayard.

° Jakobson R. (1990). « Sur la spécificité du langage humain », L'Arc, p. 3-8 [1969].

° Jespersen O. (1971). La philosophie de la grammaire, Paris : Gallimard [1924].

° Jevons W.S. (1920). Elementary Lessons in Logic: Deductive and Inductive — With Copious Questions and Examples and a Vocabulary of Logical Terms, New York : The MacMillan Company [1870].

° Jonasson K. (1994). Le nom propre — Constructions et interprétations, Louvain-la-Neuve : Duculot.

° Joseph H.W.B. (1931). An Introduction to Logic, Oxford : Clarendon [1906].

° Kattenbusch D. (1995). « Semantische Durchsichtigkeit von Toponymen: die Seychellen », in U. Hoinkes (éd.): Panorama der lexikalischen Semantik : thematische Festschrift aus Anlass des 60. Geburtstags von Horst Geckeler, Tübingen : G. Narr, p. 399-411.

° Katz J.J. (1977). « A Proper Theory of Names », Philosophical Studies, Vol. 31, n° 1, p. 1-80.

° Kerbrat-Orecchioni C. (1977). La connotation, Lyon : Presses Universitaires de Lyon.

° Kleiber G. (1981). Problèmes de référence : descriptions définies et noms propres, Metz : Centre d'Analyse Syntaxique.

° — (1995). « Sur la définition des noms propres : une dizaine d'années après », in M. Noailly (éd.) : Nom propre et nomination — Actes du colloque de Brest, 21-24 avril 1994, Paris : Klincksieck, p. 11-36.

° Lauener H. (1995). « How to Use Proper Names », Grazer Philosophische Studien, Vol. 49, p. 101-119.

° Lerat P. (1983). Sémantique descriptive, Paris : Hachette

° Lévi-Strauss Cl. (1962). La pensée sauvage, Paris : Plon.

° Mahmoudian M. (1997). Le contexte en sémantique, Louvain-La-Neuve : Peeters.

° McCawley J.D. (1968). « The Role of Semantics in a Grammar », in E. Bach & R.T. Harms (éd.) : Universals in Linguistic Theory, New York: Holt, Rinehart and Winston, Inc., p. 124-169.

° Migliorini B. (1968). Dal nome proprio al nome comune, Florence : Leo Olschki [1927].

° Mill J.St. (1988). Système de logique déductive et inductive, T. 1, Bruxelles : Pierre Mardaga [1843].

° Moeschler J. & Reboul A. (1994). Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, Paris : Le Seuil.

° Nicolaisen W.F.H. (1995). « Name and Appellative », in E. Eichler et al. (éd.) : Namenforschung / Name Studies / Les Noms propres, T.1, Berlin-New York : Walter de Gruyter, p. 384-393.

° Noailly M. (1987). « Le nom propre en français contemporain : logique et syntaxe en désaccord imparfait », Cahiers de grammaire, n° 12, p. 65-78.

° Pendlebury M. (1990). « Why Proper Names Are Rigid Designators», Philosophy and Phenomenological Research, Vol. 50, n° 3, p. 519-536.

° Petit H. (1994). « En changer », in A. Chalanset & C. Danziger (dir.) Nom, prénom, Paris : Autrement, p. 100-107.

° Rastier François. (1997). « Défigements sémantiques en contexte », in M. Martins-Baltar (éd.) : La locution, entre langues et usages, Paris : ENS Éditions, p. 305-329.
° — (1999). « De la signification au sens — Pour une sémiotique sans ontologie », Revue Texto !, http://www.revuetexto.net/Inedits/Rastier/Rastier_Semiotique-ontologie.html.
° Rey A. (1976). Théories du signe et du sens — Lectures II, Paris : Klincksieck.
° Schaff A. (1974). Introduction à la sémantique, Paris : Union générale d'éditions [1960].
° Strawson P. F. (1971). « On Referring », Logico-Linguistic Papers, Londres-New York : Methuen, p. 1-27 [1950].
° Stroll A. (1998). « Proper Names, Names, and Fictive Objects », The Journal of Philosophy, Vol. 95, n° 10, p. 522-534.
° Sweet H. (1877). « Language and Thought », Journal of the Anthropological Institute of Great Britain and Ireland, Vol. 6, p. 457-482.
° Świątkowska M. (2006). « L'interjection : entre deixis et anaphore», Langages, n°161, p. 47-56.
° Touratier Ch. (2000). La sémantique, Paris : Armand Colin.
° Vaxelaire J.L. (2005). Les Noms propres — Une analyse lexicologique et historique, Paris : Honoré Champion.
° Wilmet M. (1988). « Arbitraire du signe et nom propre », in J.L. Bénézech et al. (dir.) : Hommage à Bernard Pottier, Vol. II, Paris : Klincksieck, p. 833-842.
° Wittgenstein L. (1961). Tractatus logico-philosophicus [suivi de] Investigations philosophiques, Paris, Gallimard, Coll. Tel [1921 & 1953]. Yagisawa T. (1984). « Proper Names as Variables », Erkenntnis, Vol. 21, n° 2, p. 195-208.
° Ziff Paul (1960). Semantic Analysis, Ithaca : Cornell University Press.